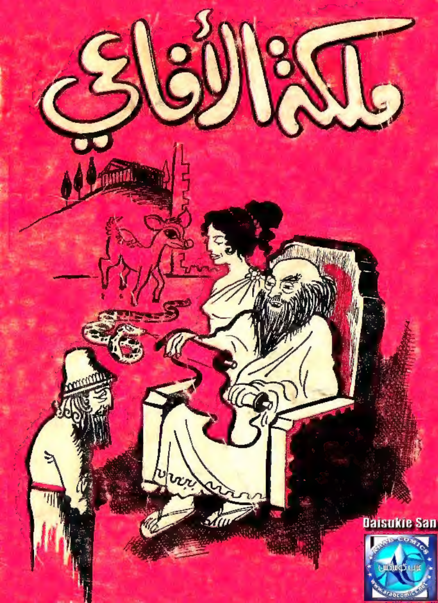

ملكة الأفاعي
Daisukie San

سلسلة
بلابل الربيع

ملكة الأفاعي

مقتبسة من ألف ليلة وليلة

يكتبها
أبو مروان

منشورات مكتبة سمير
بيروت - شارع غورو - هاتف: ٢٢٦٠٨٥

طبعة جديدة ١٩٨١

منذُ زمنٍ بعيدٍ ، كان في بلاد اليونانِ شابٌ عالِمٌ ، يُدعى دانيال .

كان واسعَ المَعْرِفَةِ ، رائعَ الحكمةِ ، إنْ نَطقَ بكلمةٍ انتشرت في سرعَةٍ عجيبَةٍ في كُلِّ بَلَدٍ عامرٍ ، خارجَ بلادِ اليونان ، حَتّى تَبْلُغَ أطرافَ بلادِ فارس .

في ذاتِ يومٍ تَسَلَّمَ دانيالُ رِسالةً من امبراطور الفُرْس ، يَدْعوهُ فيها أن يأتيَ بلادَه ويعيشَ في قصرِهِ ، ويكونَ واحِداً من كِبارِ مُسْتَشاريه[1] .

قَبِلَ دانيالُ الدعوةَ مَسروراً وأخذَ يَجمعُ ألوفَ

الأَسفارِ[٢] والمخطوطاتِ الَّتي في مَكتبتِهِ ويُنضِّدُها[٣] في صناديقَ كَبيرَة .

ثُمَّ استأجَرَ مَرْكَباً ، فَشَحَنَ فيـــهِ صَنادِيقَهُ وكُلَّ ما يَحتاجُ إليه ونَزَلَ هُوَ وزوجَتُهُ اليه .

لكِنَّ تِلْكَ الرِّحلَةَ لم يُحالِفْها التَّوْفيقُ ، لِأَنَّ الْمَرْكَبَ وَقَعَ في قَبْضَةِ القُرصانِ[٤] .

فَبَعْدَ أن اسْتَوْلَى الْقُرْصانُ على ما في الْمَرْكَبِ مِن ذَهَبٍ وَفِضَّة، وَضَعُوا أيدِيَهُمْ على الْمسافِرِينَ، وَجَعَلُوهُمْ أسرى ، واستَعَدُّوا لِإضْرامِ[٥] النّارِ في الْمَرْكَب .

فراحَ دانيـــالُ يتوسَّلُ[٦] إليهم ، لِيترُكُوا لَهُ أسفارَهُ ومَخطوطاتِهِ الثَّمينَةَ . فما كانوا لِيُجِيبُوا إلَّا بالسُّخْرِيَّةِ وَالضَّحِك .

وكانوا يَتضاحَكُون ، قائِلين :

« يا لَهُ من فتى غَريبِ الشأن ، إنَّهُ يُفضِّلُ الكَلِماتِ المكْتوبَةَ على الفِضَّةِ والذَّهب ! »

لكنَّ رئيسَهم أدْرَكَتْهُ[٧] الشَّفقةُ على دانيالَ وزَوجَتِه .

فبينما كانَ اللّيلُ مُشرِفاً على نِهايَتِهِ ، استطاعَ أنْ يُلْقِيَ بِهما على شاطئِ ليديا ، دُونَ أن يَمَسَّهُما أذى .

على أرْضٍ غَريبةٍ لا يَعْرِفُ فيْها أحداً ، رأى دانيالُ نَفْسَهُ ، لا يَمْلِكُ ذَهباً ، ولا فِضَّةً . ما مِنْ أحَدٍ يشارِكُهُ حُزْنَهُ إلّا زوجتُهُ الوَفِيَّة . فتأثَّرَ مِمّا وَقَعَ لَهُ ، فَضَعُفَ جِسْمُهُ ومَرِضَ .

فلَزِمَ فِراشَهُ مُتألِّماً . مع ذلك أخذَ يُؤلِّفُ أثْمَنَ تَعاليمِهِ الإنسانيَّةِ ، وحِكَمِهِ السّامِيَةِ .

وكانَ قادِراً أنْ يُعبِّرَ عن المعنى البعيدِ باللفظِ

القَرِيبِ الَّذي يَفْهَمُهُ الانسانُ العادِي ، وَيقولُ الشّيءَ الكَثيرَ بالكَلامِ القَليلِ .

في خَمْسِ صَفَحاتٍ فقط ، كَتَبَ دانيالُ تَعاليمَهُ وَحِكْمَتَه . بَيْنما كان دانيالُ مُنْصَرِفاً ، في أيّامِ مَرَضِهِ ، إلى كِتابَةِ تَعاليمِهِ وَحِكْمَتِهِ ، وَلَدَتْ امْرَأتُه طِفلاً دُعِيَ حَسيباً . وَحِينئذٍ ، كانَ قد قالَ كُلَّ ما أرادَ أنْ يَقول . فَلَمّا كَتَبَ كَلِمَتَه الأَخيرةَ دَعا زَوْجَتَهُ إليه ، وَهو على آخرِ رَمَقٍ وَقال :

« لم يبقَ لي شَيْءٌ أَتْرُكُهُ لِطِفْلي غَيرُ هذهِ الصَّفَحاتِ الخَمْسِ . أعطِيها لابني مَعَ بَرَكَتي الأَبَوِيَّة ، حِينَ يَصيرُ قادِراً على فَهْمِها. أغفُري لي يا زَوْجَتي العزيزة ! لأني أَتْرُكُكِ الآنَ . أنا عالِمٌ بِأَنَّ نِهايَتي قَريبة . »

وَعانَقَها بِحَنان . وَكُلٌّ مِنْهُما بَكَى مِنَ الحُزْنِ وَمِن لَوعَةِ الفِراق ، وَعلى الأَثَرِ تَراخى ، وأَصْعَدَ نَفَسَهُ الأخير .

وَهكَذا ، كانَ على الزَّوْجَةِ وَحْدَها أَنْ تُعنَى بِتَرْبِيَةِ حَسيبِ الصَّغير . وَأَنْ تَكْسَبَ رِزْقَهُ وَرِزْقَها فَراحَتْ تَخْدُمُ ، وَتُعَلِّمُ وَتأتي بِكَسْبٍ شَريف .

وَكانَ ، قَدْ حَدَثَ ، في لَيلَةِ مَولِدِ الصَّبيِّ ، أَنَّ النُّجُومَ أَنْبأَت[٨] بِأَنَّ المولودَ سَيَكُونُ وَاحِداً مِن أَعْظَمِ حُكماءِ العَـالَم ، إذا تَسَنَّى له أن يَجِدَ في شَبابِهِ مَخاطِرَ هائِلة .

وَقَدْ عَرَفَتْ أُمُّهُ ذلِك، وَراحَتْ تُراقِبُهُ بِكُلِّ احْتِراسٍ[٩] ، وَتَبْذُلُ لَهُ كُلَّ عِنايَة .

لكنَّ حسيباً لم تَبدُ عليهِ في عهدِ حداثتِه علاماتُ النَّجابةِ[١] ؛ ولا بَشَّرَ بأيَّةِ مُلاحظةٍ بأنَّهُ سَيكُونُ مِنْ أهلِ المَعْرفةِ والحِكْمَة .

لقدْ بَلَغَ الشَّبابَ، ولَمْ يتعلَّمِ القراءةَ والكِتابة. فوَجدتِ الأمُّ نفسَها مُرغَمةً أنْ تُرسِلَهُ مع الحطّابينَ ليكسَبَ رِزْقَه بِعملِ يَدَيهِ وعَرَقِ جَبينِه .

وكانَ حسيبٌ قويَّ الجِسْمِ ، راغباً في العَمَل . فما مَضى وَقتٌ طويلٌ حتّى صارَ عاملاً من الطبقةِ الأولى .

في ذاتِ يومٍ ، بينما الحطّابون يَعملون في الغابةِ، هَبَّتْ عليهِم، بَغتةً عاصفةٌ مُخيفةٌ من الرِّياحِ والأمطارِ

الغَزيرةِ . فتراكَضُوا جميعاً إلى مغارةٍ قريبةٍ،التجأوا اليها ، رَيثما تَهدأُ العاصفةُ ويَنقطعُ المطَر .

واتَّفقَ أنَّ حسيباً تقدَّمَ رِفاقَهُ إلى داخِلِ المَغارةِ مَسافةً بعيدةً بعضَ البُعْد .

ودُونَ أن يُفكِّرَ في شيءٍ راحَ يَدُقُّ على الأرض بجانِبِه ، بعصا فأسِهِ . فسَمِعَ من دقّاتِهِ صوتاً غريباً .

وبِدافِعِ الفُضولِ ، أخذَ حسيبٌ يَحفِرُ التراب أمامَهُ ، بِيدَيْهِ ، فوقَعَتْ عيناهُ على بِلاطةٍ من حجرٍ في وَسطِها حَلْقةٌ من حديد .

فنهَضَ الشّابُ على قدَمَيه، وأمسكَ الحَلْقةَ بِيَدَيهِ مَعاً ، وأخذَ يَشُدُّ بِكُلِّ ما عِندَه من قُوّةٍ ، حتّى



قَدِر على رَفْعِ الحجرِ ، فانكَشَفَتْ بِئْرٌ عميقةٌ مُظْلِمَةٌ في جَوْفِ الأَرْض .

في هذا الوَقْتِ كانَ الحَطّابونَ يُلاحِظونَ ما كان يَصْنَعُ حَسيبٌ . فاجتَمَعُوا حَوْلَهُ ، وأَنارُوا شَمعةً أَنزَلُوها داخِلَ البِئر .

فما كانَ أَعظَمَ دَهشَتَهُمْ ، لمَّا رَأَوْهَا عَمِيقَةً جِدًّا ، وقَدْ صُفَّت فيهـا أقراصُ شَهْدِ العَسَل بَعْضَها فَوْقَ بعضٍ حتّى الشَّفَةِ . فاقْتَرَبَ حَسِيبٌ مِنها واقْتَطَـع جزءًا من الشَّهْدِ وذَاقَهُ ، فإذا هُوَ أَلَذُّ شَهْدٍ عَرَفَه ، وأَطيبُ رائحة .

حينئذٍ ، تَقَدَّمَ كُلُّ واحِدٍ من الحَطّابينَ وذَاقَ العَسَل واتَّفَقُوا على أَنّ هذا الاكْتِشافَ ، سَيَجْعَلُهم مِنَ الأَغنياء .

هنا ، على مَقرُبَـةٍ مِنْهُمْ كَنْزٌ ، كَنْزٌ من شهدِ العَسَلِ ليس لَهُ نِهاية ، يَنتَظِرُ أن يُجْمَعَ ويُباع ...

ليس لَهُمْ بَعدَ اليوم ، أن يَتعَبُوا ويَشقَوا في قَطْعِ الأشجَارِ وحَمْلها ، لِيَكسَبُوا رِزقَهم .

كانَ حَسيبٌ ، واقِفاً ، يُصْغي إلى ما يقولونَ في دَهْشَةٍ ، لأنَّهُم لم يذكروهُ في شَيء من الخِطَّةِ التي رَسَمُوها لِأنفُسِهِم .

فَنَظَر اليهم بشيء من الخَوفِ وقال :

ـ ألستُ أنا ، مَن اكتَشفَ الشَّهْدَ أوّلاً في هذا المَكَان ؟ إني أؤكّد لَكُمْ أننا ، ان عرَضْنا قَضيَّتَنا على النّاس ، فسيحكُمون ، لي بكُلِّ ما في البِئرِ مِنْ

شهدِ العَسَل ، لِأنني أنا الّذي عَثَرْتُ عليه . فَحدَّقَ اليه الحطّابون ، ولم يَقُولوا شيئاً .



وَلكنَّهم ، ابتَعدوا قليلاً وَتَهامَسُوا فِيما بينَهُم . ثُمَّ اقْتَرَبُوا من حسيبٍ ، مُتظاهرينَ بالصَّداقةِ وَسَأَلوهُ أن ينظرَ إِلى أَعْمَـاقِ البئرِ ليرَى ما مِقْدارُ الشهدِ الذي فيه .

فَلَمّا انْحَنى فَوقَ فُوهةِ البئر ، وحاولَ أَن يُحدِّقَ إلى عُمْقِها ، اقتربَ واحدٌ من الحطّابين ، وَدَفعَ به إلى أَسْفَل .

وَقبلَ أن يتمكَّنَ من الصُّراخِ ، مُسْتَنْجِداً[11] ، كان قد أَهوى إلى قَعْرِ البئْرِ ، فإِذَا هو سالِمٌ عـلى شِبْهِ فِراشٍ من نَباتِ الطّحلبِ[12] النّاعم .

ومن عُمْقٍ بعيدٍ ، كان حَسيبٌ يَسْمَعُ الحَطّابينَ ،

يَتحدَّثون ، وَهُمْ يَنْتَزِعُون أَقراصَ الشَّهْدِ عن جُدْرانِ البئر . ولَمّا فرغُوا من ذلك ، أعادُوا الحجَرَ الصّفيحَ على فُوهتِه . فَسَمِعَ الصَّوتَ وانقطَعَ النور . فرأى أَن لا فَائِدَةَ من طَلبِ النَّجْـــدَة . فَجَلَسَ حَيْثُ استقرّ ، سَالِماً مِنَ الأذَى ، وَلكن ، مُدْهشاً من انقِلابِ الحَطّابينَ عليه ، وَمعاملَتِهم القَاسِيةِ له .

بَعْدَ هُنَيهَةٍ ، شَعَرَ بشيءٍ يَتحَرَّكُ بِلُطْفٍ على قَفَا يَدِهِ اليُسْرى. وكانَتْ عَيْنَاهُ ، قَد تَعوَّدَتَا النَّظَرَ في العَتْمَةِ ، فَرأَى أَنَّ الشيءَ الذي يَتحَرّكُ على يَدِهِ ، كان عَنْكبوتاً . فَقَتَلَهُ ، دونَ أَن يُفكِّرَ في شَيءٍ .

لَكِنَّهُ ، مَا لَبِثَ أَنْ عَادَ يَسْأَلُ نَفْسَهُ :

« من أينَ جاء هذا العَنْكَبُوت ؟ »

ثُمَّ رَاحَ يُحَدِّقُ إلَى مَا حَوْلَهُ ، فَرأى شُقُوقاً فِي جُدرَانِ الْحُجَرِ الَّتِي تُحْدِقُ بِهِ .

فَأخرَجَ خِنجَرَه مِنْ عَنْ جَنْبه ، وأَخذَ يَقرِصُ مَا بَينَ الشُّقُوقِ ؛ فَتحَرَّكَتْ قِطْعَةٌ مِنْ صخر ، وَسَقَطَتْ عِلَى الْجِدَار . فَسَعَى الى الفَجْوَةِ[١٣] الَّتِي أَحْدَثَتْهَا قِطْعَةُ الصَّخْرِ ، فَإذَا هو فِي مَمَرٍّ ضَيِّق . فَزَحَفَ على يَدَيهِ ورجلَيه حَتَّى وَصَلَ إلى بابٍ حَدِيدِيٍّ . كانَ ذَاكَ البَابُ مُوصَداً بِقُفْلٍ مِنَ الفِضَّةِ ، وَفيهِ مِفتَاحٌ من الذَّهب .

فَأدَارَ المِفتَاحَ فِي القُفْلِ وَفَتحَ البَابَ .



وَمَا نَظَرَ ، حَتَّى كَادَ يُغْمَى علَيهِ من الخَوْف . لَقَدِ انْفتَحَ البَابُ على كهفٍ[١٤] وَاسِعٍ مَمْلُوءٍ

بِأشياءَ تتحرّكُ ، وَتلمعُ كالماءِ . مَعَ ذلِكَ ، أدرَكَ حَسيبُ أَنَّها لم تكُنْ مَاءً . دَارَتْ بِهِ مِن كلّ جِهَةٍ إسْكمْلاتٌ[١٥] مِنَ الذَّهبِ ، وقد تَكَوّرَ على كُلّ إسْكمَلةٍ منها أفعى ، عَيْنَاها تبْرُقانِ مِثْلَ الالماسِ المصقُولِ . وعلى مَقْرُبَةٍ منْهُ عرْشٌ مِنْ حَجَرِ المَرْمَر ، مُطعّمٍ بِالحِجارَةِ الكرِيمةِ[١٦] . فارْتقَى العرْشَ وَرَاحَ يُحدّقُ إِلَى الأفاعي المُتكوّرَةِ على الإسْكمْلاتِ .

فلَمَّا مَلأَ عَينَيهِ من المشْهَدِ تَبيّنَ لَهُ أنّ ما كانَ يبدو لَهُ كالماءِ ، ما هو إلّا مَجْمُوعَةٌ من ألوفِ الأفاعي تَمُوجُ على الأرْض .

أخَذَ ، حَسيبٌ ، وهو جَالِسٌ على العَرْشِ يرتجِفُ مِنَ الخوْف . والأفاعِي المتَكوّرَةُ على



الإسْكمْلاتِ ، تُصعِدُ فَحيحاً[١٧] لا ينقَطِع . ثُمّ ظَهرتْ أفعى عَظيمَةٌ جِداً تَحْمِلُ طبَقاً من ذَهَبٍ على رَأسِها ،

وكانَ على الطَّبَقِ أفعَى أخرى ، ما كادَ يَنْظُرُ حَسيبٌ إليْهَا حتَّى فارَقَهُ الخوفُ ، لِأنَّها أفعَى بِوَجْهِ امْرأةٍ رَقيقٍ وعينَينِ ذابلتين ، وفَمٍ جذّاب .

وخَاطَبَتْهُ بصَوْتٍ رَقيقٍ هامِس :

لا تَخشَ أذى أيُّها الفتى . أنا مَلِكَةُ الحيَّات ، ونحنُ جميعاً على عِلْمٍ بأنَّكَ ستأتي إلى هَذا المكانِ .

فَتحرَّكَ حَسيبٌ لِيَتْرُكَ العَرْشَ لها ، لكنَّ الأفعى مَنعَتْهُ قائلة :

« إبقَ حيثُ أنت يا صديقي ! أمَّا أنا فأجلِسُ مَعَ أتباعي .

وانْسابَتْ عَنِ الطَّبَقِ الذَّهبيِّ إلى واحِدةٍ

مِنَ الإسْكَمْلات ، فَلَمَّا اسْتَوَتْ[١٨] في مَكانِها ، سَأَلَتْ حسيباً مُلاطِفَةً :

ـ هل أنتَ جوْعانُ يا صديقي ؟

ـ حقّاً أنا جوْعان !

هَتَفَ بعبارَتِه هذهِ على الفَوْر ، وأضافَ ، لقد أخذَتْ مُغامَراتي مِنْ وَقْتي حظّاً كبيراً . وأؤكّدُ لَكَ أنّي لم أذُقْ طَعَاماً مِنْذُ ساعاتٍ عَديدَة ، وقَدْ تكُونُ مَضَتْ أيّامٌ والجُوعُ يأكُلُ من دمِي . »

فأَمَرَتِ المَلِكَةُ بِأنْ يُؤتَى بالطَّعامِ .

فحَضَرَ الطَّعامُ في الحالِ أمامَ حَسيبٍ على طَبَقٍ مِن ذَهَبٍ وفي آنِيَةٍ من ذَهَبٍ أيضاً مُرَصَّعةٍ بالجواهِر .

فَلَمَّا أَكَلَ وَشَبِعَ شَعَرَ أَن قُوَّتَه عَادَتْ ، ولم يَبْقَ لَهُ من أُمنيَةٍ إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ الى النُّورِ ، لِيَجِدَ الطَّرِيقَ إِلَى بَيتِه .

وَكَلَّمَتْهُ المَلِكَةُ بِصَوْتٍ عَذْبٍ قَائِلَةً :

« امَّا الآنَ ، فَقَد انتَعَشْتَ أَيُّها الشَّابُ اللَّطِيف. رُبَّمَا ، صِرتَ قَادِراً أَن تَقُصَّ عَلَيَّ قِصَّتَك . قُلْ لي مَنْ أَنتَ ؟ وما جَاءَ بكَ إِلَى هذا المَكان ؟ »

مَع أَنَّ حَسِيباً ، كانَ يَنْتَظِرُ بِنَافِدِ الصَّبْرِ أَن يَمضِيَ إِلَى بَيتِهِ ، فَقَدْ حَكَى لها حِكَايَتَهُ بِكُلِّ مُجَامَلَةٍ وَتَفْصِيلٍ .

فَأَصْغَتْ المَلِكَةُ إِلَيْهِ بِكُلِّ انْتِبَاهٍ . ثمَّ سأَلَته أَن يَتَلَطَّفَ وَيُصْغِيَ لِحكَايتِهَا .

فَكَانَ عَلَى حَسِيبٍ أَنْ يَكُونَ مُهَذَّباً فَيُصْغِيَ بِدَوْرِهِ لحكايةِ المَلِكةِ . فَجَلَسَ لَا يَتَحَرَّكُ ، مُبْدِياً كُلَّ



اهْتِمامٍ لِما يَسْمَعُ ، وفي قَلْبِهِ شَوقٌ شَديدٌ لِلخُرُوجِ من هٰذَا المَكان .

ولكنَّ حكايَةَ المَلكةِ كانت طَويلةً جِدّاً

فَراحتْ تَحْكي وَتَحْكي، ولا تَقِفُ عَنِ الكَلام إلاّ إذا احْتاجَ حَسيبُ إلى النَّوْمِ ، أَو عَضَّهُ الْجُوعُ ، فَطَلَبَ طَعاماً وَشَراباً . فإذا أَفاقَ مِنْ نَوْمِهِ ، أو انْتَهَى مِنْ طَعامِهِ وَشَرابِه ، عادَتِ الْحِكايةُ من حيثُ انْقَطَعَتْ.

أخيراً ، نَفَدَ ما عِنْدَ حَسيبٍ مِنَ الصَّبْرِ ، والاحْتِمالِ ، فَارْتَمى على رُكْبَتَيهِ أمامَ المَخْلوقَةِ الْجَميلَةِ قائلاً :

« إسْمَحي يا صاحبةَ الجَلالَةِ ، أَنْ أَلتَمِسَ مِنكِ

أن لا تُبْقيني هُنا طَويلاً . أَنا مُشْتاقٌ لِوَطَني ، حَتّى المَوْتِ . »

أجابتِ المَلِكَةُ :

ـ إني لا أَجْهَلُ ما أَنْتَ فيه يا صَديقي ، وما أطلتُ الكَلامَ إلاّ لِأحاوِلَ تأجيلَ[١٩] ساعَةِ مَوْتي.

فَسأَلها الشّابُ مُتعجّباً .

ـ ما السرُّ في أنَّ عَوْدَتي إلى وَطَني ، تَقودُكِ إلى المَوت ؟

فَتَنَهَّدَتِ المَلكةُ من أعْماقِ صَدْرِها وأجابَت :

ـ آه ! أيُّها الشّابُّ المِسكين ! ما أنتَ السَّبَبَ

في ذلك . ولن أكونَ ، بعــدَ الآنَ مَن يَزيدُ في عذابِكَ . يُمكِنُكَ أن تذهبَ الآنَ . لكِن أريدُ منكَ أن تعِدَني بشيءٍ ..

ـ أطلُبي ما تشائين ، فأنا مُستعِدٌّ أنْ أفعَلَ ، إذا كانَ باستِطاعَتي .

قالت المَلِكَةُ الصَّالِحَةُ :

إيّاكَ أن تذهبَ إلى الحمَّامِ العُمُوميِّ .

فوعَدَها حسيبٌ بأن يُحافظَ عَلى ما طَلَبَتْ مِنهُ مُتعَجِّباً من هذا الطَّلَبِ الغريبِ . وكانت له مُهلَةٌ قليلَةٌ مِنَ الوَقتِ للتفكيرِ فيه ، بينما المَلِكَةُ سائِرَةٌ معه تُريهِ أينَ الطَّريقُ . فَراحتْ تقودُهُ في مَماشٍ

ضَيِّقَةٍ مُظلِمَةٍ وفي التِواءات[20] عديدَةٍ ليس فيها أيُّ شُعاعٍ مِنَ النورِ . مُدَّةً طويلَةً حتَّى كادَ يسقُطُ مِنَ التَّعَبِ .

وفجأةً رأى نفسَهُ في نورِ النَّهار .

حينئذٍ قالتْ لهُ المَلِكَة :

إذهبِ الآنَ يا صَديقي ! وتذكَّرْ وَعْدَكَ لي . لكِن ، لا تحزَنْ إذا لَمْ تقــدِرْ على الوَفاء . لأنَّهُ مَكتُوبٌ بأني سأجِدُ الموتَ عن يَدِكَ .

والحقُّ أنَّنا لا نَقدِرُ على أن نُغيِّرَ إلاَّ القَليلَ ، القليلَ مِمّا هو مَكتُوبٌ .



قَالت هذا ، ومَضَتْ . وحسيبٌ يُلاحِظُ المكانَ الّذي نَفذَتْ مِنْهُ .

فَتذَكَّرَ المغارَةَ نَفْسَها الّتي لجَأَ اليها الحَطّابونَ هَرَباً من عاصِفَةِ الرّياحِ والمطَرِ ، وَأَكَّدَ في أيِّ قِسْمٍ من الْغابَةِ هي :

وَقصَدَ بيتَهُ ، ولم يَدْرِ أَنَّهُ فارَقَهُ أَيّاماً طَويلَةً . فَضَمَّتْهُ والدتُهُ بذراعَيْها فَرِحَةً بِعَوْدَتِهِ سالِماً . كانَتِ الْأمُّ تَضْحَكُ وتَبْكي في وَقْتٍ معاً من شِدَّةِ فَرَحِها ، كَأَنَّها جُنَّتْ لا تَدري ما تَفْعَل .

وما كان أَعْظَمَ دَهْشَتَه لمّا عرَفَ أَنَّ غِيابَهُ عَنِ البَيْتِ كانَ أَكْثَرَ من سَنَتَينِ ، وكَأَنَّهُ يومُ أَمسِ .

وَعرفَ الجيرانُ وأَهْلُ البَلْدَةِ بِعودَةِ حَسيبٍ



وانتَشَرَ الْخَبَرُ في كُلِّ مَكَانٍ . فَأَقْبَلَ الَّذِينَ دَفَعُوهُ إِلَى قَعْرِ الْبِئْرِ لِيَرَوا حالَه ،

كانُوا ، قد نَدِمُوا كُلَّ النَّدَمِ على ما فَعَلُوا معه. ولم يَترُكُوا والدَتَــه تَشكُو مِنَ الفَقْرِ ، بل كانُوا يُقدِّمُونَ لها ما كانَ يَلْزَمُها ، ويُعَزُّونَها عَنْ فَقْدِهِ .

إنَّ كَنْزَ الشَّهْدِ الّذي وَقَعُوا عليهِ بِفَضْلِ حَسيْبٍ صَيَّرَهُم مِنَ الْأَغنِيَاءِ ، فَبعدَما كانوا حَطَّابِينَ يُحَصِّلُونَ رِزْقَهُمْ بِإجْهَادِ الْجَسَدِ وَعَرَقِ الْجَبِينِ صارُوا تُجّاراً مَعْرُوفِينَ يَعِيْشُونَ فِي خَيْرٍ وافِرٍ ، وَفي دُورٍ غَنِيَّــةٍ مَفْرُوشَةٍ بِأَحْسَنِ الْأَثاثِ وَالرِّيَاشِ .

وَهكَذا ، فَرِحُوا بِعَوْدَةِ الشَّابِ الّذي اكْتَشَفَ لَهُم الكنزَ الثَّمِينَ . وَفكَّرُوا تَفْكِيراً عادِلاً . فَقَدَّمُوا له نِصفَ ما رَبِحُوا مِنَ المَالِ مِن ثَمنِ الشَّهْدِ . فَقَبِلَ حَسيبٌ ما قَدَّموا له شاكِراً .

وَامْتَلأَ قَلْبُ الأُمِّ مِن السَّعَادَةِ لَمَّا رَأَتْ فَتَاهَا يَنْمُو فِي الرُّجولَةِ وَالفَهْمِ ، وَالشُّعُورِ بالوَاجِبات .

لَكِنَّهَا كانَت تَتَنَهَّدُ حَسْرَةً من أَعْمَاقِ صَدْرِهـا حِينَ تَتَذَكَّرُ ، دَانِيَال : زَوجَهَا العـالِمَ الحَكِيمَ ، وَالصَّفَحَاتِ الخَمْسَ الَّتِي اخْتَصَرَ فيها حِكْمَتَهُ كُلَّهَا .

وكانَتْ تَعْلَمُ ، أنَّ حَسِيباً ، مع تَقَدُّمِهِ فِي مَعْرِفَةِ الأمورِ وَالوَاجِبَاتِ ، لم يَصِرْ بَعْدُ أَهْلاً لِلتَّصَرُّفِ[٢١] بِهَا ، وَفَهْمِ مَا تَحْتَوي عَلَيْهِ مِنَ الحِكْمَةِ السَّامِيَة .

وَلَم يَكُنْ حَسِيبُ يَعْلَمُ شَيْئاً مِن أَمرِ هـذِهِ الصَّفَحَات . وَبِفَضْلِ المَالِ الَّذِي حَصَلَ عَلَيْـهِ مِن أَصْحَابِهِ ، صَارَ تَاجِراً نَاجِحاً ، فاشْتَرَى أرضاً وَاسِعَةً ،

وَابْتَنَى فِيهَا بَيتاً فَخماً ، وَتَزَوَّجَ فَتَـاةً جَمِيلَةً مِن بَنَاتِ الأَغْنِياء .

وَهَكَذَا كَثُرَ أَصْدِقَاؤُه ، وَمَعَارِفُهُ .

فِي ذَاتِ صَبَاحٍ ، سَأَلَهُ بَعْضُهُم أَن يُرَافِقَهم إِلَى الحَمَّامِ العُمُومِيِّ . وَأَخَـذُوا يَصِفُونَ لَهُ أَلْوَانَ الرُّخَامِ ، وَحُسْنَ التَّرْتِيبِ ، وَالمُعَامَلَةِ فيه .

فَنَسِيَ حَسِيب ، وَهُوَ فِي النَّعِيمِ مِنَ العَيْشِ ، وَصِيَّةَ المَلِكَةِ الصَّالِحَةِ ، وَوَعْدَهُ لَهَا بالوَفَاء .

فَأَلْقَى بُرْنُسَهُ على كَتِفِهِ وَمَضَى مَعَ أَصْدِقَائِه . يَتَغَنَّوْنَ على الطَّرِيقِ فَرِحِين، بِأَغَانِي الطَّبِيعَةِ وَالغَزَل .

فَمَا كَادَ حَسِيبُ يُلْقِي جَسَدَهُ فِي مَغْطَسِ الحَمَّامِ

حَتَّى رَأَى نَفْسَه بَيْنَ أَيدِي اثْنَينِ غَرِيبَينِ عَنْــهُ ، يَسْحَبَانِهِ بِخُشونَةٍ ، وَهُمَا يَهْتِفَانِ :



« هذا هو الرَّجلُ المَطْلوبُ لَقَد صارَتْ بَشَرَتُهُ سوداء في الحال . »

وَرَاحَ كُلُّ مَن كانَ هُناكَ يُحَدِّقُ إلى حَسِيبٍ ، مُتَعَجِّباً :

ـ كَيفَ صارَ أَسْوَدَ اللَّوْنِ ، وهُوَ يَغْتَسِلُ في ماء صافٍ نَقِيٍّ !!

فَأُلْبِسَ ثِيابَهُ ، وَأُخِذَ إلى الفُنْدُقِ ، حَيْثُ كان يَـــنْزِلُ كَبِيرُ وُزَراء امبراطُورِ الفُرْسِ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ ، وَبِيدِهِ سِفْرٌ طَوِيلٌ .

فَلَمّا رَآهُ حَسِيبٌ ، حَاوَلَ أن يكُونَ شُجَاعاً ، فَدَفَعَ واحِداً من أَصْدِقائِهِ الأَبْرِياءِ بِقُوَّةٍ وقَالَ لِلوَزِير :

- إنّي أطلبُ أن تدَعَني أذهبُ ، فما أنا مَن تُريدُ .
لكنّ الرَّجلَينِ اللّذَينِ أمسكاهُ في الحَمّام ، هتفَا قائلَين :

- بل هَذا هُوَ يا صَاحِبَ السِّيادَةِ ، فَما كادَ يَنزِلُ في الماءِ حتّى صارَ جِلدُهُ أسودَ كما ترى .

فَنظَرَ الوَزيرُ إلى حَسيبٍ ، نظرةً فاترةً[٣٢] وقالَ :

- إنّي آسِفٌ لإزعاجِكَ أيُّها الشّابُ ، لكنّكَ ، في الحال ، ستعلَمُ لماذا جيءَ بكَ إلى هُنا . إنّ الامبراطورَ كيرزانَ سيّدَ بلادِ فارسَ أصابَهُ مرضٌ خطيرٌ . وقالَ أطبّاؤهُ أنْ لا نجاةَ لهُ مِنَ الموتِ إلاّ إذا أكلَ من لحمِ مَلِكَةِ الأفاعي . فقد بحثنا في كُتُبِ

العِلمِ ، والطّبِّ ، والسِّحرِ ، والنُّبوءة ، حتّى عثرْنا على الجوابِ ، أخيراً ، في هذا السِّفر .

وَقدّمَ السِّفرَ لِحسيب فأخذَ يقرأ :

« هُنالِكَ رَجلٌ سَيقضي مُدّةَ سَنَتَينِ في مملكةِ الأفاعي . ثمّ يُفارقُ تلكَ المَملكةَ ويعودُ إلى بيتِه . سيُعرَفُ هذا الرَّجلُ عِندَما يَذهبُ إلى الحمّامِ العُمومي . فما يكادُ يغطِسُ في الماءِ حتّى يصيرَ جلدُهُ أسود . »

فهتفَ الوزيرُ قائلاً :

- أنتَ هُوَ الرَّجلُ ، تفضّلْ ! وكُنْ دليلَنا إلى مَلِكَةِ الأفاعي .

كَادَ حَسِيبُ يَبْكي لمَّا سَمِعَ هذا الكَلامَ ، مِن الأَسَفِ على نِسيانِه . لقد خالَفَ ما وَعَدَ بِهِ المَخلُوقةَ الرَّقيقةَ الَّتي صادَقتهُ ، والآنَ ، لا بُدَّ أنْ تَمُوتَ .

حاوَلَ حَسِيبُ أوَّلَ الأمرِ أن لا يُطيعَ ، وأظْهَرَ العِصْيانَ بِقُوَّةٍ . ولَكِنَّهُ ضُرِبَ بِشِدَّةٍ وأُرْغِمَ على الطَّاعة فَمَضى حَزيناً ، أمامَ الوزيرِ إلى المَغارةِ التي اكْتَشَفَ فيها بِئرَ العَسَلِ .

فَنَزَلَ الوَزيرُ الفارِسيُّ ورِجالُهُ إلى البِئْرِ ، واقْتَحَمُوا مَملكَةَ الأفاعِي . فَقَبَضُوا عَلى المَلِكَةِ الصَّالِحَةِ وجَعلُوها في قَفَصٍ ، وحَمَلُوها إلى بِلادِ فارسَ . واقتادُوا حَسيباً معها مُرغَماً .

وَسَافَرُوا أيّاماً ولَيَاليَ ؛ وفي اللَّيلَةِ الَّتي أشْرَفُوا فِيهَا على بِلادِ فَارِسَ ، خَاطبتِ الأفْعَى حَسيباً في سِرٍّ قَائِلَة :

« سَوْفَ يَأْخذونَنَا إلى دَارِ الوَزيرِ أوَّلاً ، يا صديقي المِسْكينَ . هُناكَ ، سَيَطْلُبُ مِنْكَ الوَزيرُ أن تَقتُلَني ، وتَقسِمَ جِسْمي ثلاثةَ أقسامٍ . عَلَيْكَ أنْتَ أنْ تَرْفُضَ ، وتَجعَلَهُ هُوَ يَفعَلُ ذَلِك . عِندئذٍ ، سيضَعُ كُلَّ قِسْمٍ مِنَ الأقسامِ الثَّلاثَةِ في قِدْرٍ لِيُطْبَخَ . وبَيْنما تكُونُ القُدُورُ على النَّارِ . سَيُدْعَى لِمُقابَلةِ المَلِك . ويَطْلُبُ مِنْكَ أنْ تُراقِبَ القُدُورَ في غِيابِه . وبَعْدَ أنْ يَنْتَهِي دَورُ الطَّبخِ سَيُصَفَّى ما في كُلِّ قِدْرٍ في قُمْقُمٍ ، إذْ يَصيرُ سائِلاً نَقِيًّا .

وَسيقُولُ لكَ الوَزِيرُ ، أنْ تحْتَفِظَ بالسَّائِلِ الَّذي هو خُلاصَةُ القِسمِ الأَوّلِ على حِـــدَةٍ ، لِيشفيَهُ من مَرضِهِ . وَالسّائِلُ الَّذي هو خُلاصَةُ القِسْمِ الثَّاني يُرِيدُ أنْ يَحْمِلَهُ إلى الإمبَراطُورِ . وَسَيَتْرُكُ لَكَ القُمْقُمَ الأخِيرَ مُكَافأةً على خِدمَتِكَ .

فَبدَلاً مِنْ أنْ تَصْنَعَ كما يَأْمُرُكَ الوزيرُ، إشْرَبْ أنتَ ما في القُمْقُمِ الأَوّلِ ، وأتْرُكِ الثَّالثَ لَهُ . »

فَصَنَعَ حَسِيبٌ كما قَالَتْ لَهُ مَلِكَةُ الأفَاعي . وكُلُّ ما قَالَتْ حَدَثَ بالتَّمامِ .

لَكِن ، ما كادَ يَشْرَبُ ، ما في القُمْقُمِ الأَوّلِ مِنَ السَّائِلِ حَتى تَبدَّلَ فِيهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ .

فَقَدِ امْتَلأ لِلْحَالِ مِنَ الْحِكْمَةِ ، واتَّسَعَتْ مَعارِفُهُ وَشَمِلَتْ كُلَّ عِلْمٍ على الأَرْضِ .

وَلَمَّا دَخلَ الوَزيرُ ، وَطَلَبَ القُمْقُمَ الأَوّلَ ، قَدَّمَ لهُ حَسِيبٌ ، القُمْقُمَ الثَّالثَ عَمَلاً بِنَصِيحَةِ مَلِكَةِ الأفَاعِي .

فَجَرَعَ الوَزِيرُ السَّائِلَ في الْحَالِ . وما كادَ يَصِلُ إلى جَوْفِهِ حتّى سَقَطَ مَيتاً .

فقَدْ كان السَّائِلُ الَّذي فيـه سُمّاً قَاتِلاً أرادَ بِهِ الوزيرُ الشّرّيرُ أن يَقْتُلَ حَسِيباً . فكانَ الهَلاكُ له .

عِنْدَئِذٍ ، حَمَلَ حَسِيبٌ السَّائل المَوْجودَ في القُمْقُمِ الثَّاني إلى الإمبَراطُورِ ، وهو على آخِرِ رَمَقٍ ، يَكادُ

يَمُوتُ . فما كادَ يَجْرعُ السَّائِلَ حتَّى عـادَ مُعافىً صَحيحاً . فَجَلَسَ ونَظَرَ إلى حسيبٍ نِظْرةَ الشُّكْرانِ ومَعْرِفةِ الجَميلِ ، وقالَ :

« مَن أنْتَ ، ومن أينَ أتَيْتَ أيُّهـا السَّيِّدُ الشَّريفُ ؟

ـ أنا حسيبٌ ، ابنُ دانيالَ العالِمِ اليُونانيِّ الشَّهيرِ . فقَدْ ماتَ والدي ، وانا بعدُ طِفلٌ في السَّريرِ .

وللحالِ ، انتَشر على وَجْـهِ الإمبَراطُور فَرَحٌ عَظيمٌ وقالَ :

« منْذُ زَمَنٍ بعيدٍ ، كان أبوكَ قادِماً إليَّ ، وهَلَكَ في الطَّريق . إنَّكَ أنْتَ أيْضاً مثْلُهُ في المعْرِفـةِ



والحِكْمَة ، وستكُونُ انسانَ خيرٍ وصَلاحٍ كما كانَ أبوكَ .

هل يُمكِنُني أن أدعُوكَ لِتَـأْتِيَ أنت وَعائِلَتُكَ وَتَسكُنَ معي في هذَا ٱلقَصْر ؟ فَإِنِّي جاعِلُكَ مُرْشِداً لي وَمُستَشاراً في كُلِّ أعْمالِي ، وَواجِباتِي المَلَكِيَّةِ .

فَوافَق حَسِيبٌ على دَعوَةِ المَلِك ، وَأرسلَ مَن حَمَلَ إليه ، والِدَته ، وَإمرَأَته ، وَخُدّامه ، وَكُلَّ مُحتَويَاتِ بيتِهِ ، وَما في مَخازِنِهِ مِنَ البِضاعَةِ .

وَوَصَلَتِ المَراكِبُ إلى بِلادِ فارسَ سالِمَةً هذه المَرَّة ، لَمْ يَتَعَرَّضْ لَها القَرصانُ ، واجتَمَعَ شَمـلُ العائِلَةِ في أحسَنِ حال .

وَلَمَّا رَأَتْهُ وَالِدَتُهُ أدرَكَتْ لِلحَال أنَّ الحِكمَةَ استَقَرَّتْ في رَأْسِ وَلَدِها .



فَفَتَحَتِ الصُّنْدُوقَ السِّرِّيَّ وَأَخْرَجَتْ مِنْـهُ

الصَّفَحات الخَمْسَ الَّتي كَتَبَ فِيهَا زَوجُها حِكمَتَهُ وَسَلَّمَتْهُ إِيَّاها قَائِلَة :

دُونَكَ يا بُنيَّ المِيْرَاث[٢٥] الَّذِي خَصَّكَ به أبوك قَبْلَ مَوتهِ .

الآنَ ، عَرَفْتُ أَنَّكَ تَستَحِقُّهُ . وَالحقُّ أنَّ الأَمْرَ كانَ كَذَلِكَ .

فَما مَضَى وَقْتٌ طَويلٌ حَتَّى صار حسيبُ كَبِيرَ وُزَرَاءِ فَارِسَ .

وَعاشَتِ الرَّعِيَّةُ في أمنٍ وَرَاحةٍ ، مُدَّةً طويلَةً ، بِفَضْلِ حِكْمَتِهِ وَأَعْمَالِهِ الصَّالِحَة .

حلم الرجل الفقير

في قديمِ الزَّمانِ ، كانَ يَعِيشُ في بَغدَادَ رَجُلٌ يَعتَقِدُ بِأَنَّهُ أَتعَسُ مَخلُوقٍ على الأَرضِ . أبداً يَطْلُبُ عَمَلاً ، وَالعَمَلُ يَهْرُبُ مِنْهُ . حَتَّى بَلَغَ مِنَ الفَقْرِ وَالإِفلاسِ ، أَنَّهُ لو أَرَادَ أَن يَستَأجِرَ زَرِيبَةً يَبِيتُ فِيها مَعَ زَوجَتِهِ وَأَولادِهِ ، لم يَجِدْ مَعَهُ ما يَدفَعُ أجرَها.

وَهَكَذا ، كانَ عَلَيْهِ أن يَنْتَقِلَ مَعَ عائِلَتِهِ إلى خَرِبَةٍ مُتَهَدِّمَةٍ في خَارِجِ سُورِ المَدِينَةِ فَيَلجأَ إليها .

وَعَلَى رَأْسِ هذه المَصائِبِ كانَ له زَوجَةٌ لا

تشعُرُ بِهمِّهِ وتَعاسَتِه ، ولا يَسْمَعُ مِنْها كَلِمَةً لَطيفَة



لقدْ كانَتْ لاذِعَةَ اللّسانِ إلى آخرِ حدٍّ . وقد زادَ الجوعُ لِسانَها مرارةً وحِدّةً . فتَراها لا تسْكُتُ عن لوْمِه ، وتَوْبيخِه ، ووَصْفِه بالكَسْلانِ والمَنْحُوس ، وبالمخْلُوقِ الَّذي لا يُساوي شيْئاً في هذه الدُّنْيا .

كانَتْ تَقُولُ لَهُ بِصَوتٍ مُضْطَرِبٍ مِنَ الغَضَبِ :

« أزْعَجُ ما يَكُونُ مِنْ أَمْرِكَ ، أنّكَ لا تطْمَحُ إلى شَيءٍ ، لا إرادةَ لكَ ولا هِمّة . مِنَ العَجَبِ أنّكَ قانعٌ بِهذهِ الحالِ مِنَ الفقرِ ، والشّقاءِ ، ولا تَهتمُّ بما تُقاسي زَوجَتُكَ وأَوْلادُكَ مِن ألَمِ الجُوعِ والحِرْمانِ ! »

وإنَّ ضَرْبَةَ الضَّرَباتِ النّازِلَةِ بِهذا الإنْسانِ الشّقيّ ، حُلْمٌ كانَ يَتَراءى لَهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ ، وصَوتٌ يَهْدُرُ دائِماً في أُذُنَيه .

« إلى القاهِرَةِ ، إلى القهرة ! إنَّ سعادَتكَ في القاهِرَة . »

وَظَلَّ الصَّوتُ يَقْرَعُ أُذُنَيْهِ ، في لَيْلَةٍ مِنَ اللّيالي، حَتّى شَعَرَ في يَقْظَةِ الصَّباحِ بتَعَبٍ شَديدٍ ، كَأَنَّهُ لم يَنَمْ ، وكانَ قَلْبُهُ يَرْتَجِفُ من الخَوْف .

فَأَخبرَ زَوجَتَهُ بحُلْمِهِ ، ثُمَّ قال : ربَّما ، قد يكُونُ مُقَدَّرٌ لي أن أذْهَبَ إلى القاهِرَة . »

فَسَخِرَتْ منه زَوجَتُهُ قائلة :

ـ تذكرُ القاهِرَة يا غبي ! أتعْلَمُ أيْنَ نحنُ من القاهِرَة ، وكَمْ من الأيّامِ واللّيالي ، عليكَ أن تَقْضيها في الأسْفار ، حتّى تَصِلَ إليْها ؟

ثُمَّ نَظَرَتْ من زَاوِيةِ عينِها ، وأضافتْ :

« مع هذا كُلِّهِ ، كَيفَ يُمكِنُني أن أعْرِفَ أنَّكَ ، حَقيقةً ، ذاهِبٌ إلى القاهِرَةِ ؟ وإنْ ذَهَبْتَ فكَيفَ أعْلَمُ بأنَّكَ سَتعُودُ إلى هُنَا ؟

ما أنتَ عَليهِ مِنَ الكَسَلِ والدناءةِ ، يَدْعُوكَ لِلفرارِ بَعيداً ، وَتَركِي أنا وأولادك نَموتُ مِنَ الجُوعِ !

القاهرة ! أحقيقةً ما تَقُول ؟ ! »

فَسَكَتَ الرَّجُلُ عن ذِكْرِ القاهِرَةِ . ولَمْ يَعُدْ إليْه . ولَكِنَّ حلْمَهُ لم يفارِقْهُ لَيْلَةً واحِدة .

في تِلْكَ الأثْناء ، كانَ هذا التَعِسُ يَمْضي إلى بئرٍ قَريبةٍ مِنَ الخَرْبَةِ التي لَجأ إليْها هو وعائِلَتُهُ ،

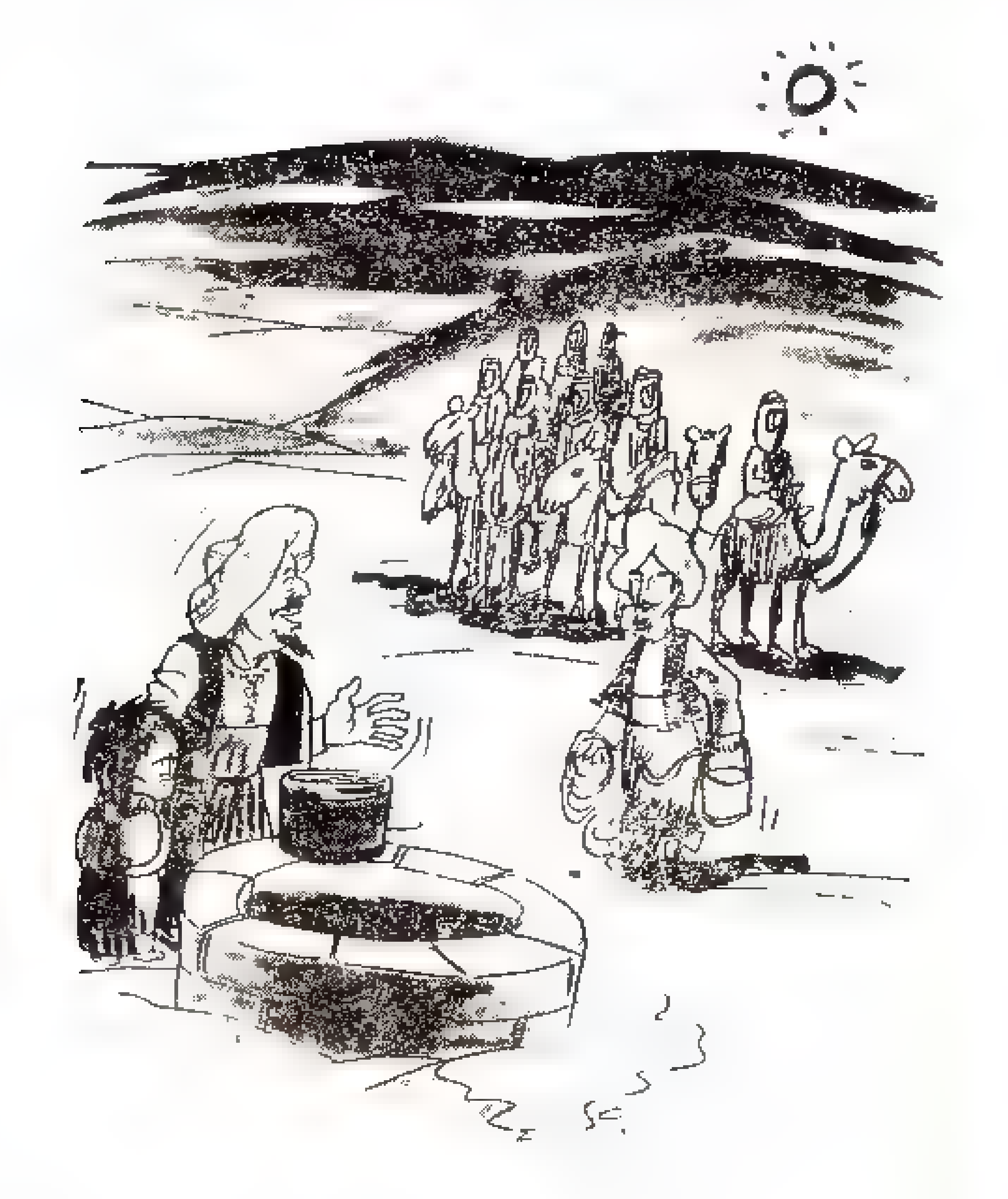
وكانَ ماءُ هذهِ البئرِ عذباً بارِداً ، فيَقضي المِسكينُ أكْثَرَ ساعاتِ نهارِهِ على حافةِ البئرِ يَنتظرُ المسافرينَ هُناكَ ، حيثُ يقِفُونَ لِلرَّاحةِ وريِّ الظَّمأ[١] .

فاذا توقَّفُوا لانتشالِ الماءِ مِنَ البئرِ ، كانَ يَسألُهُم هل يُرِيدُونَ خِدْمَةً يُؤدِّيها[٢] لَهُمْ . وبِهذِهِ الطَّريقَةَ كان يَكْسَبُ بِضْعَةَ فُلُوسٍ .

بَينما كانَ ، ذاتَ يَوْمٍ ، قاعِداً جانبَ البئرِ كَعادتهِ وحولَهُ اثنانِ من أولادِهِ الصِّغارِ ، وقَفَتْ هُناكَ قافِلَةٌ[٣] كَبيرَةٌ. كانَت تِلْكَ القافِلَةُ مُسافِرَةً الى القاهِرةِ .

ـ « إلى القاهِرة ؟ »

ونَهَضَ الرَّجُـلُ على قدَمَيْهِ ، واقتَرَبَ مِنَ المُسافِرين ، فسَألَهُمْ خِدْمَةً يُؤدِّيها لَهُمْ .



ثمَّ قال لهم : « ربَّما أَستَطيعُ أنْ أكُونَ مُفيداً لَكُم إنْ أخذتُموني مَعَكُمْ في هذا السَّفَرِ »

فَنَظَرَ إليهِ رَئيسُ القافِلَةِ ثم قالَ :

« تعالَ مَعَنا ! على الرُّحبِ [٤] والسَّعَةِ ! يُمكِنُكَ أنْ تَرْكَبَ ظَهْرَ جَمَلٍ في مُؤَخِّرةِ القافِلَةِ »

فأسْرَعَ الرَّجُلُ إلى الجَمَلِ البارِكِ [٥] على رِكابِهِ ، قَبْلَ أن يَقِفَ على قَوائِمِهِ [٦] العالِيةِ ، وتَدَلَّى بِحَيْثُ لا يُمكِنُ لِزوجَتِهِ أنْ تَراهُ حِينَ تَمُرُّ القافِلَةُ بالمكانِ الذي تُقيمُ فيه ، عِنْدَما تَتْرُكُ مدينَةَ بَغْدادَ .

فنامَ تِلْكَ الليلَةَ ، مَعَ الجِمالِ ورِجالِ القافِلَةِ تَحْتَ النُّجومِ . كانَتْ تلكَ الليلَةَ الاولى من الوف الليالي لم يَحْلُمْ فيها بأنَّهُ مُسافِرٌ إلى القاهِرةِ .

وَظَلَّ الرَّجُلُ في رِفقَةِ القافِلَةِ ، حتَّى أَشْرَفَ أخيراً على أبْراجِ القاهِرةِ تَلْتَمِعُ تَحْتَ أشِعَّةِ الشَّمْسِ الغارِبة .

لمّا وَصَلَتِ القافِلَةُ إلى مَدينَةِ القاهِرةِ تَفَرَّقَ رِجالُها في كُلِّ مَكانٍ . ولَبِثَ الرَّجلُ الفَقيرُ مُنْفَرِداً لا يدري إلى أَيْنَ يَذهَبُ .

لا مالَ مَعَهُ لِيَشْتَرِيَ طَعاماً ، ولا مَكانَ يَلْجَأُ إليْهِ ويَنامُ لَيلَهُ .

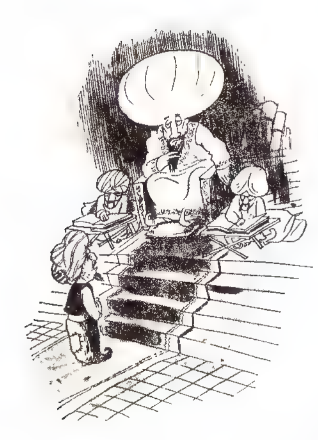
فَراحَ يَتَجَوَّلُ في أسْواقٍ غَريبَةٍ عَنْهُ ، حَتَّى أدرَكَهُ تَعَبٌ شَديدٌ ، فَألقَى جَسَدَهُ الضَّعيفَ قُرْبَ أحدِ الأبوابِ ، وأغْمَضَ عَيْنَيه ، يَلْتَمِسُ النَّومَ .

وَخدَّرَهُ ٱلنُّعاسُ بِسُرْعَةٍ مِنَ التَّعَبِ . فَلَمْ يَسْتَيقِظْ حَتَّى الصَّباحِ على قَبْضَةٍ قاسِيةٍ تَهزُّ يَدَهُ وَكَتِفَهُ ، وَجَسَدَهُ الضَّعيفَ كُلَّهُ ، وَصَوتٍ قَوِيٍّ يَصْرُخُ بِه :

« أما كَفَانا ما عِندَنا مِنَ الشَّحَّاذِين ، حَتَّى تَأْتِيَ أَنْتَ وَتَزِيدَ عَدَدَهُم ؟ هَيّا مَعِي ! أَسْرِعْ ! »

وَرَاحَ الْحَارِسُ الغَلِيظُ ، وَالسَّيفُ في يَدِهِ ، يَدفَعُ صَاحِبَنا الفَقيرَ أَمَامَهُ في الأَسْواقِ ، حَتَّى انْتَهى بِهِ على كُومَةٍ مِنَ القَشِّ في السِّجنِ .

فَلَبِثَ هناكَ خائِفاً جوعَانَ ، تَرتَجِفُ يَدَاهُ وَرِجلاهُ وَتَستَكُّ أَسْنانُهُ خوفاً وَضَعْفاً . وَبَعْدَ سَاعاتٍ ، جِيءَ بِهِ إِلَى القَاضِي .



وكانَ القَاضي جَالِساً على مِنَصَّةٍ[٧] عالِيَةٍ ، يُحَدِّقُ

إِلَى الرَّجُلِ المِسْكِينِ ، وَهُوَ دُونَهُ على بَعْضِ مَسافَةٍ يَرْتَجِفُ من الضَّعْفِ . وَسَأَلَهُ قَائِلاً :

ـ أَخبِرْني يا هٰذَا ! من أيِّ بَلَدٍ قَدِمْتَ إِلَى هُنا؟

ـ من بغدادَ يا سَيِّدِي ، يَا مَلْجَأَ المَساكِينِ مِثْلي.

ـ حسناً !

ثُمَّ سَأَلَهُ القَاضِي :

ـ وَكَيفَ وَصَلْتَ إِلَى هُنا ؟

أجاب ٱلمِسْكِينُ :

ـ أَتيْتُ مَعَ القَافِلَةِ .

وَسَأَلَهُ ٱلقَاضِي أيضاً :

ـ وَمَا غَرَضُكَ من هذه الرِّحْلَةِ الطويلَةِ ؟

أَجابَ ٱلفقِيرُ بِلَهْجَةٍ وَضِيعَةٍ قَائِلاً :

ـ « إِنَّ ما قُمْتُ بِهِ سوفَ يَبْدُو لَكُمْ غَرِيباً أَيُّها الإِمَامُ ! أنا لَمْ أَقْصُدِ القَاهِرَةَ إِلّا من حُلْمٍ كانَ يَزُورُني في مَنامِي ، كُلَّ لَيلَةٍ ، وَلا يَنْقَطِعُ لَيلَةً وَاحِدَةً ، فَإِنَّ صَوتاً كانَ يَقُولُ لي : « إِنَّكَ وَاجِدٌ الثَّروَةَ في القَاهِرَةِ . » لكن ، بَدلاً مِنَ الحُصُولِ على الثَّروَةِ أُودِعْتُ السِّجْنَ ، كَأَنِّي لِصٌّ مِنَ اللُّصُوصِ . »

ثُمَّ طَأْطَأَ[8] رَأْسَهُ خَجَلاً ، وكادَ يَنْفَجِرُ بَاكِياً دَامِعاً .

كانَ القَاضِي ، رَجُلاً رَحِيماً ، فَنَظَرَ إِلَى الفَقِيرِ نَظْرَةَ إِشْفَاقٍ وَقَال :

ـ وَالآنَ ، يَا صَاحِبِي ! لا تَعْتَقِدْ بِأَنَّ الأُمورَ هِيَ كَمَا تَبْدُو لَكَ مِن سُوءِ الحَالِ . فَقُدُومُكَ إِلَى القَاهِرَةِ لَمْ يَزِدْ فِي الفَقْرِ الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ فِي بَغْدَادَ . إِلَيكَ بِنِصفِ دِينَارٍ . تَدَبَّرْ أَمْرَكَ بِهِ ، وَاسعَ فِي الحَالِ ، فِي أَنْ تَجِدَ قَافِلَةً تَعُودُ بِكَ إِلَى عَائِلَتِكَ .

فَأَخَذَ الرَّجُلُ قِطْعَةَ النَّقْدِ ، شَاكِراً ثُمَّ قَالَ : « كَيْفَ أَعُودُ إِلَى بَغْدَادَ ، وَحُلْمِي يَعِدُنِي بِالثَّروَةِ هُنَـــا ؟ »

أَجَابَ القَاضِي بِشَيْءٍ مِن الحِدَّةِ :

ـ عَلَيْكَ يَا هَذَا أَنْ تَكُونَ شَكُوراً ، لِأَنِّي أَطْلَقْتُكَ مِنَ السِّجنِ . نَحنُ هُنَا نَسجُنُ الشَّحَّاذِينَ ، وَلَا

نُصْغِي لِشَكوَاهُمْ لِأَنَّهُمْ يُفَضِّلُونَ الشِّحَاذَةَ عَلَى العَمَلِ . وإِنِّي ، آسِفٌ . لِكَوْنِكَ جُنِنْتَ بِحُلْمٍ تَرَاءَى لكَ ، فَصَدَّقْتَهُ ، وَتَكَلَّفْتَ السَّفَرَ إِلَى هُنا بِدُونِ أَن تُفَكِّرَ فِي الْعَاقِبَةِ . »

وَأَطْرَقَ[٩] القَاضِي قَلِيلاً ، ثُمَّ قَال :

ـ أَتُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ مِني شَيئاً يَسُرُّكَ ؟ أَنَا ، فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يَزُورُنِي فِي مَنامِي حُلْمٌ ، لَكِنِّي ، لَسْتُ مَجْنُوناً لِأُصَدِّقَ الحُلْمَ . »

عِنْدَئِذٍ سَأَلَهُ الْفَقِيرُ قَائِلاً :

« هَلْ يُمكِنُنِي يَا مَولاي ! أَنْ أَسْأَلَكَ ، مَا هُوَ الْحُلْمُ الَّذِي يَتَرَاءَى لَكَ ؟ »

فَتَبَسَّمَ القَاضِي وَقَالَ :

« إنِّي أَحْلُم بِأَنِّي وَحِيدٌ خَارِجَ مَدِينَةِ بَغْدَادَ ، بِقُرْبِ بِئْرٍ مَتْرُوكَةٍ ، فِي سَاحَةِ دَارٍ خَرِبَةٍ حَقِيرَةٍ . »

مَا كَادَ القَاضِي يَقُولُ هَذَا ، حَتَّى أَخَذَ قَلْبُ الرَّجُلِ الْفَقِيرِ يَخْفُقُ بِقُوَّةٍ . وَكَمَّلَ القَاضِي قَائِلاً :

بَيْنَمَا كُنْتُ وَاقِفاً ذَاتَ يَومٍ هُنَاكَ ، إِذَا بِصَوْتٍ يَقُولُ لِي أُحْفُرْ ، أُحْفُرْ فِي الْأَرْضِ ، تَحْتَ الْحَجَرِ ، إِنَّ كَنْزاً مَدْفُوناً هُنَاكَ ، سَوفَ تَجِدُهُ إِنْ فَعَلْتَ . »

وَسَكَتَ القَاضِي لَحْظَةً ثُمَّ قَالَ : هَذَا هُوَ حُلْمِي ، فَلَو كُنْتُ مَجْنُوناً مِثْلَكَ ، وَصَدَّقْتُ الْأَحْلَامَ ، لَحَمَلْتُ الْمِعْوَلَ عَلَى كَتِفِي ، وَسَافَرْتُ فِي الْحَالِ إِلَى

بَغْدَادَ ، أُفَتِّشُ بِبَلَاهَةٍ عَنْ بِئْرٍ قَدِيمَةٍ حَتَّى أَجِدَ الكَنْزَ »

قَالَ القَاضِي هَذَا وَضَحِكَ . فَتَضَاحَكَ الْحَاضِرُونَ . وَأَسْهَمَ الفَقِيرُ أَيْضاً فِي الضَّحِكِ . لَكِنَّهُ حَاوَلَ أَنْ لَا يُظْهِرُ فَرَحَهُ بِمَا سَمِعَ . وَقَالَ : « لَكَ الشُّكْرُ يَا مَوْلَايَ القَاضِي ! » ثُمَّ وَدَّعَ وَانْصَرَفَ .

كَانَتْ سَفْرَتُهُ فِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ إِلَى بَغْدَادَ تَبْدُو أَقْصَرَ وَأَسْهَلَ بِكَثِيرٍ مِنْ سَفْرَتِهِ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، مَعَ أَنَّهُ قَطَعَ أَكْثَرَ المَسَافَةِ مَشْياً عَلَى قَدَمَيْهِ . وَقَدْ أَشْفَقَ عَلَيْهِ أَحَدُ رِجَالِ الْقَافِلَةِ فَأَذِنَ لَهُ أَنْ يَرْكَبَ ظَهْرَ جَمَلِهِ ، مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

كَانَ الوَقْتُ لَيْلاً لَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ الْخَرِبِ ،

الّذي تُقيمُ فيه عائِلَتُه . وكانَ القَمَرُ بَدْراً فِضيَّ الضِّياء ، مَكَّنَهُ أن يَرى مَكانَ البئرِ المتروكَةِ بوضوحٍ .

فَلَم يُضيِّعِ الرَّجلُ الوَقْتَ في التَّفْتيشِ عَنِ الحجَرِ الَّذي وَصَفَهُ حُلْمُ القاضي الضّاحك. فاقْتلَعَهُ بيدَيْه ، وَراحَ يَحْفُرُ مَكانَه الأرْضَ بِأظافِرِه ، فإذا به يَمسُّ شَيئاً يُشبِهُ المِلْحَ الخَشِنَ . فَعادَ يَحْفُرُ وَيَحفُرُ بِأَظافِرِه ، حَتّى عثرَتْ يَداه بِجِلدِ سَرْجٍ [10] . فوسَّعَ الحُفْرَةَ وَاقْتَلَعَ السَّرْجَ . فإذا في داخِلِه كَنْزٌ مِنَ الدَّنانيرِ الذَّهبيَّةِ وَالفِضيَّة ، وَالجواهِرِ وَاللآلىء ، راحَتْ تَلمَعُ في نورِ القَمَرِ .

فَوَجدَ نَفْسَهُ في حاجَةِ الضَّحِك ، يُريدُ أن يضحَكَ كما ضَحِكَ عليه القاضي . لَكِنَّه لم يَشأْ أنْ يُوقِظَ زَوْجَتَهُ .

فَوَضعَ الكَنْزَ تَحتَ الأشياءِ الرَّثَّةِ الَّتي كانَ يَنامُ عليها وَاسْتَراحَ حَتّى الصَّباحِ .

فاستيقَظَ على صَوْتِ امرأتِهِ المُرتَجِفِ الغاضِب ، وعلى يَدَيْها تَنْضَمّانِ عَلى ساقِهـا وَهِيَ واقِفَةٌ فوقَهُ تَسأَلُهُ قائِلة :

ـ حَسَناً فَعَلْتَ ! لقد ! عُدتَ أخيراً . تَفضَّلْ وَقُلْ لي أيْنَ كُنْتَ يا حضرَةَ السائحِ ؟

ـ كُنتُ في القاهِرةِ .

وَتَهَكَّمَتِ الْمَرأَةُ قائِلَةً :

ـ وهل أتيتَ بِالكَنْزِ الَّذي حَلِمْتَ به ؟

ـ نعم ؟ أَتيتُ بِالكَنْزِ ! دُونَكِ ما وَقَعْتُ عَلَيْهِ!

قال هذا ، وسَحبَ السَّرجَ مِن تحتِ الأشياءِ الرَّثَّةِ الّتي يَنامُ عليها ، وقَدَّمَهُ لِزَوجَتِهِ .

فَفَتَحَتِ المرأةُ فَماً أَبلَهَ مِنَ التعجُّبِ . لَمّا وقَعتْ عَيناها على الكَنْزِ العظيمِ ، ثُمَّ انْحَنَت على زَوْجِها تُقَبِّلُهُ ، وتَدعُو له بِطُولِ العُمْرِ .

وما هِيَ إلّا أيّامٌ مَعْدُودَةٌ حَتَّى انْتَقَلَ الرَّجُلُ وعائِلَتُهُ إلى دارٍ واسِعَةٍ بِأثاثٍ ورِياشٍ ثَمينٍ . وشُفِيَتِ الْمَرأَةُ من الغَضَبِ لَمّا رأَتْ نَفْسَها تَتَمايَلُ في أثوابِ

الحَريرِ ، وأولادها يَعيشُون في خَيْرٍ ، ويَذْهَبُون إلى

الكُتَّاب يَتعَلَّمُونَ ، بَعْدَما كانُوا مُشَرَّدِينَ ، حُفاةً ، عُراةً .

وَلَمْ يَبْقَ الزوجُ خامِلاً[١١] ، بل صارَ مَعْرُوفاً بَيْنَ أَغْنِياءِ المَدينَةِ يُصْغُونَ إليه وَيَحْتَرِمُونَ كَلامَهُ .

فَكَانَ كُلَّما اقْتَرَبَتْ إِلَيْهِ زَوْجَتُهُ تَحْمِلُ الشَّرابَ، يَهْمِسُ لِنَفْسِهِ قائِلاً : « سُبحانَ مَنْ يُبَدِّلُ مِنْ حال إِلَى حال » .

تفسير كلمات « ملكة الأفاعي »

١ – **مستشاريه** : في حالة الجر . أصلها مستشارون في الرفع : جمع مستشار : من يأخذ الملك أو الرئيس مشورته ، أو رأيه .

٢ – **الأسفار** : جمع سفر : رق من جلد مصقول أبيض شكله طويل ، كان يستعمل للكتابة في الزمان القديم .

٣ – **ينضدها** : يصفّها أو يجعلها بعضها فوق بعض .

٤ – **القرصان** : لصوص البحر ، أو قطاع الطرق في البحر .

٥ – **إضرام النار** : إشعالها .

٦ – **يتوسّل** : يسترحم . يطلب بتلطف .

٧ – **أدركته الشفقة** : شعر بالشفقة .

٨ – **أنبات** : أعلمت عن الغيب .

٩ – **باحتراس** : بتنبُّه . بوقاية . باهتمام .
١٠ – **النجابة** : الذكاء .
١١ – **مستنجد** : مستعين . طالب النجدة ، أي المعونة .
١٢ – **الطحلب** : نبات الماء الناعم .
١٣ – **فجوة** : مسافة من الفراغ في حائط أو غيره .
١٤ – **كهف** : مغارة .
١٥ **اسكملات** : جمع اسكملة : كرسي واطٍ بدون ظهر . يُجلَس عليه أو يوضع عليه طبق .
١٦ – **الحجارة الكريمة**: المعادن الثمينة من فيروز ، وزبرجد وغيرها .
١٧ – **الفحيح** : صوت الأفعى .
١٨ – **استوت** : جلست جلسة مستقيمة .
١٩ – **تأجيل** : تأخير .
٢٠ – **التواءات** : جمع التواء : مصدر التوى . انطوى . مال. التواءات : انطواءات .
٢١ – **التصرف بالشيء**: مصدر تصرف به : تحكّم به . سيّره بخدمته .
٢٢ – **فاترة** : ليس فيها اهتمام .
٢٣ – **الميراث** : التركة التي يرثها الابن عن أبيه .

أسئلة « ملكة الأفاعي »

١ – مَن هو العالمُ الحكيم الذي عاش قديماً في بلاد اليونان ؟
٢ – من أين جاءَه رسولٌ يحملُ إليه رسالة ؟
٣ – ما كانت تحوي تلك الرسالة ؟
٤ – هل وصل دانيال الى بلاد اليونان؟ ماذا حدث له في الطريق؟
٥ – كيف انتهى أمر دانيال ؟ وما ترك في يد زوجته ؟
٦ – هل ظهرت علىَ ولده حسيب علاماتُ الذكاء ، ودلّت أفعالهُ عليه ؟
٧ – هل استطاع حسيب أن يتعلم ؟ لِمَ ؟
٨ – بِمَ اشتغل لمّا صارَ في سن الشباب ؟
٩ – ماذا حدثَ لمّا كان حسيب مع الحطّابين في الغابة ، وأين التجأوا من الرياح والأمطار ؟

١٠ — ماذا فعل حسيب وهو منفرد عن رفاقه في المغارة ؟

١١ — أيُّ شيء انفتحَ له ؟

١٢ — هل أرادَ رفاقه أن يعطوه نصيبَه من شهدِ العسل ؟

١٣ — ماذا صنعوا لمّا طالبهم بحقه ؟

١٤ — اختصر حكاية حسيب منذُ سقوطه حتى ظهرت له ملكة الأفاعي في نصف صفحة ؟

١٥ — ما جرى بينه وبين ملكة الأفاعي ؟

١٦ — لماذا كانت تتأخر وهي تحكي له حكايتها؟ وما كانت وصيتها له؟

١٧ — كيف عاد إلى أمه ؟ وكيف وجدَها ؟

١٨ — هل التقى أصحابه وما كان منهم ، ومنه أيضاً ؟

١٩ — هل رأته والدته مستحقاً أن يستولي على السفر ، ميراث أبيه؟ لِمَ؟

٢٠ — ماذا حدث له لمّا ذهب إلى الحمام ؟

٢١ — اختصر حكاية حسيب من وقت سفره مع الوزير الفارسي حتى وصوله إلى بلاد فارس ؟

٢٢ — ماذا قالت له الأفعي في الطريق ؟ هل صنعَ كما قالت ؟

٢٣ — ما كانت عاقبة الطاعة؟ طاعة الحكمة التي ترمز اليها الحية .

٢٤ — متى أعطته والدته السفر الذي أوصى له به أبوه ؟

٢٥ — اختصر حكاية ملكة الأفاعي في صفحتين. وما هو مغزاها؟

تفسير كلمات « حلم الرجل الفقير »

١ — الظمأ : العطش يُروي ظمأه . يسقي عطشه . يرتوي بالماء .

٢ — يؤدي الخدمة : يقوم بها . يصنعها .

٣ — قافلة : قطار من الجمال ، يمشي واحدُها وراء الآخر في خط طويل .

٤ — على الرحب والسعة : تعبير للترحيب . كقولهم : أهلاً وسهلاً .

٥ — البارك : الراكع .

٦ — قوائم الجمل : أو أي حيوان آخر : الأيدي والأرجل للحيوان .

٧ — منصة : كرسي الحكم أو القضاء .

٨ ـ طاطا رأسه : حنى رأسه .

٩ ـ أطرق : نكس رأسَه مفكراً .

١٠ ـ سروج الجواد: ما يوضع عليه تحت الفارس أو المسافر

١١ ـ خامل : ضد مشهور .

أسئلة « حلم الرجل الفقير »

١ ـ ما كان اعتقاد الرجل الفقير الذي كان يعيش في بغداد قديماً؟

٢ ـ هل كان يهرب هو من العمل ؟

٣ ـ إلى أين انتقل أخيراً مع عائلته ؟

٤ ـ هل كانت زوجتُهُ تشعرُ معه ، وتشاركه همَّه ؟

٥ ـ ما كانت تقولُ له دائماً ؟

٦ ـ أين راحَ يقضي نهاره ، بعدما انتقلَ إلى الخربة المهدمة ؟

٧ ـ لماذا كان يقضي نهارَه هناك ؟

٨ ـ ما هو الحلم الذي كان يتراءَى له دائماً ؟

٩ ـ هل استطاع أن يسافر إلى القاهرة ؟ كيف ؟

١٠ ـ إلى اين انتهى أمرُه في القاهرة ؟

١١ ـ احكِ حكايته من ساعة قبض عليه الحارس حتى راح القاضي يسخر منه ويلفّق له حلمَ الرجوع إلى بغداد .

١٢ ـ بِمَ شعرَ الرجل لما روى له القاضي حلمَه الضاحك ؟

١٣ ـ هل عثرَ على الكنز الذي حلم به ؟ كيف ؟

١٤ ـ كيف استقبلته زوجته في الصباح؟ وعن أي شيء سألته؟

١٥ ـ كيف ردّ عليها ؟

١٦ ـ صف حالة الرجل بعدما وقعَ على الكنزِ كيف تغيّرت . وكيف راحت زوجتُه تعامله ؟ وماذا كان يقول ؟

مشـــورات
مكتبــة ســـمير

بـــيروت

سلسلة بلابل الربيــع

- الحـــلم السعيد
- مملكة الافـــاعي
- المصباح العجيب
- الجـــواد الطيار
- سبتيموس ساويروس
- الرجل الكئيب
- الـوالي والخيـــار
- ناني والشاطر حسن






ARAB COMICS
عرب كوميكس
AC
www.arabcomics.net
هذا العمل هو لعشاق القصة المصورة وهو لغير اهداف ربحية و لتوفير المتعة الأدبية فقط الرجاء حذف الملف بعد قراءته وابتياع النسخة الأصلية المرخصة فور نزولها الأسواق لدعم استمرارتها.
By: DaisukieSan